الرؤية التأصيلية لمفهوم المفارقة بين النقاد الغربيين والنقاد العرب القدامى والمحدثين: رؤية نقدية تحليلية

إعـــــداد

د/ محمود علي عبد الحليم

دكتوراه اللغة العربية تخصص أدب و نقد

ملخص البحث:

نهدف من هذا البحث إلى تسليط الضوء على مصطلح المفارقة، باعتباره من المصطلحات الحديثة التي لاقت قبولًا لدى الباحثين على المستويين التنظيري والتطبيقي، وقد تمثل الهدف الرئيس من الدراسة في الوقوف على معالم المفارقة في الدرس النقدي والبلاغي العربي القديم، بالإضافة إلى ربطه بجهود النقاد الغربيين في العصر الحديث فيما يتعلق بهذا المصطلح، وكذلك الوقوف على بوادر الجمع بين الأصالة والمعاصرة في نتاج النقاد العرب المحدثين.

هم الباحث للتنقيب عن النصوص التراثية المعبرة عن مضمون المفارقة، وقرنها دلاليًا بمضمون المفارقة لدى النقاد الغربيين، وعمد كذلك إلى رصد تحقق الجمع بين الأصالة والمعاصرة في نتاج النقاد العرب المحدثين، وقد أفصحت الدراسة عن جملة من النتائج منها أن المفارقة تمثل مغايرة لفظية يترتب عليها مباينة معنوية أو خيالية أو تصويرية، وهذه المباينات أو الاختلافات تنتج عن طبيعة عقلية ذهنية تؤمن بأهمية إحداث المقابلة باختلاف أنواعها في بنية الخطاب لإظهار جمالياته التعبيرية.

رغبة في تحقيق أهداف الدراسة اعتمدت على محددات المنهج الاستقرائي الذي يفسح لنا المجال في استقراء النصوص المتعلقة بمصطلح المفارقة قديمًا وحديثًا، وتحليلها برؤية علمية منهجية تنأى عن التعصب، وتروم الوصول إلى نتائج يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار، وقد تضمن البحث مقدمة، وعناصر ثلاثة، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: المفارقة، النقاد العرب، النقاد الغربيون، البلاغيون القدامى.

مقدمة:

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد....

فلا يعدم المشتغلون بالدرس اللغوي والأدبي والنقدي في العصر الحديث الوقوف على إشكالات بحثية تؤزهم على طرحها ودراستها، وقد نكون في فترة عصيبة من البحث تبعث الحيرة في نفوس المتخصصين، إذ أصبح المجال النقدي متسعًا بصورة تبعث على التشتت، وذلك من جراء انفتاح الحقل النقدي العربي والعالمي، وتداخل الرؤى المعرفية المتعلقة به على بعضها دون حدود فارقة أو تخصيص يتشاكل مع خصائص كل لغة على حدة.

إن الناقد العربي المعاصر يصطدم بكم هائل من المعارف والمصطلحات النقدية التي قد تودي به إلى التشتت في أغلب الأحيان، فالحيرة تأخذ بمجامعه إلى أحد الأمور التي لا مناص عن الانجرار إلى أحدها، فإما أن يصاب بالضبابية الفكرية التي لا تكون عقله النقدي بصورة سليمة، أو ينحاز إلى تراثه باعتبار أن هذا المصطلح أو تلك النظرية لا تعدم أصولًا في تراثنا العربي، وثالث قد يجنح إلى التقليد المقيت لكل وارد غربي دون رؤية أو دراية، والكيس الفطن هو الذي يرتكز على أساس المصطلح، ويهدف إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة بحيادية علمية، وفق مناهج البحث العلمي الذي يقوم على المعطيات المتاحة ليخلص منها إلى نتائج ذات جدوى، يمكن للباحثين بعده أن ينتفعوا بها.

من هذا المنطلق تنهض رؤية هذه الدراسة على التأصيل لمصطلح المفارقة، ذلك المصطلح الذي تلقاه الباحثون بالتنظير والتطبيق في الدرس النقدي والأدبي المعاصر، وجاءت غالبية الدراسات المستندة إليه في إطار تطبيقي خالص، خلا بعض الإشارات التنظيرية العابرة التي تعنى بتعريف المصطلح لغة واصطلاحًا، وقد رأى الباحث أننا بحاجة إلى رؤية تقعيدية وتأصيلية لمصطلح المفارقة، بغية الوقوف على الجهود النقدية المتتابعة والمتعاقبة بين العرب القدامى والنقاد الغربيين حديثًا، لذا عنونت هذه الدراسة بـ"الرؤية التأصيلية لمفهوم المفارقة بين النقاد الغربيين والنقاد العرب القدامى والمحدثين: رؤية نقدية تحليلية".

أهداف الدراسة:

يهدف الباحث من دراسته هذه إلى التأصيل النقدي لمصطلح المفارقة، عن طريق دراسة مفهوم المصطلح ومحدداته لدى النقاد العرب قديمًا وحديثًا، وكذلك التعرض لماهية مصطلح المفارقة في رؤية النقاد الغربيين، والخلاص إلى رؤية شمولية توقفنا على حقيقة المفارقة ومحدداتها ومدى حضورها في الإبداع العربي، وعليه فإن أهداف الدراسة تتمثل في العناصر الآتية:

- الوقوف على تعريف المفارقة عند اللغويين والنقاد والبلاغيين العرب القدامى.
- رصد مفهوم المفارقة لدى النقاد والأدباء العرب في العصر الحديث.
- معرفة محددات المفارقة ومفهومها عند النقاد الغربيين.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن نحتكم لمحددات المنهج الاستقرائي، الذي نعنى من خلاله برصد مفهوم المفارقة قديمًا وحديثًا، وتحليله برؤية نقدية، وصولًا إلى جمع الجهود النقدية تجاه المصطلح وإظهار تراتبيتها وتتابعها من القديم للحديث، وصولًا إلى رؤية نقدية تأصيلية تضع المصطلح في مساره الصحيح، ونؤدي ذلك بمنهجية تعمل على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتحقيق ذلك عن طريق التعريف بالمصطلح في المعاجم اللغوية العربية، والوقوف على النصوص النقدية والمصطلحات التراثية التي تتقاطع ضمنيًا مع مصطلح المفارقة، فهدفنا هو إيجاد الدلائل المعبرة عن وجود المصطلح بصيغته أو دلالته أو أحد فروعه في التراث النقدي والبلاغية العربي.

خطة الدراسة:

ارتكزت الدراسة على ثلاثة عناصر يمكن أن تفي بالرؤية العامة لمحددات العنوان، الذي جاء بصياغة واضحة تتمثل في "الرؤية التأصيلية لمفهوم المفارقة بين النقاد الغربيين والنقاد العرب القدامى والمحدثين: رؤية نقدية تحليلية"، وتفصيل ذلك فيما يلي:

المقدمة.

أولًا: التعريف بمفهوم المفارقة عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى.

ثانيًا: المفارقة في رؤية النقاد والبلاغيين العرب في العصر الحديث.

ثالثًا: التعريف بمفهوم المفارقة عند النقاد الغربيين.

الخاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

أولًا: التعريف بمفهوم المفارقة عند النقاد والبلاغيين العرب القدامى:

إذا رمنا الربط بين مصطلح المفارقة وما قدمه النقاد والبلاغيون العرب بشأنه سنقف على جملة من الأمور التي يجب التعرض لها بشيء من التفصيل، وذلك يرجع لعدة اعتبارات؛ منها أن ذلك المصطلح - المفارقة- بمعناه الاصطلاحي الحديث غير موجود في التراث النقدي والبلاغي القديم، وعدم وجوده لا ينفي عدم تحقق معناه ومفهومه وحضوره بصور غير مباشرة، وكذلك لا نغفل عاملًا آخر؛ تمثل في أن المصطلح لا يعدم شيئًا من المقاربة الفكرية بين معناه المنشق عن جذره اللغوي في المعاجم العربية ومفهومه الاصطلاحي الحديث، وأقرب إشارة إلى تلك المقاربة هو ما نجده من تعريف عند ابن منظور في لسان لعرب، إذ أورد الأصل (فرق) وما ينشق عنه من ألفاظ، وانتهى إلى أن المفارقة تحمل دلالات المباينة والمخالفة، ويقول في ذلك: "فارَقَ الشيءَ مُفَارقةً وفِرَاقاً: بايَنَهُ، وَالِاسْمُ الفُرْقة. وتَفَارق القومُ: فَارَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وفَارَقَ فُلَانٌ امرأَته مُفَارقةً وفِراقاً: بايَنَها"[1]، ومفهوم المباينة قريب من الاصطلاح المتعارف عليه للمفارقة، وذلك على نحو سأعرض له من رؤى بلاغية ونقدية عربية وغربية.

إن البلاغيين والنقاد العرب القدامى تطرقوا لأمور شتى لها صلتها بالنصوص المنظومة والمنثورة عبر عهود شتى، وذلك الجهد الثمين لا يمكن إغفاله بأي حال، خاصة وأنه يمثل الخطوة الأولى والإرهاصات الممهدة للعديد من النظريات التي قال بها الغربيون حديثًا، ولا أدل على ذلك من قضية التناص أو التعالق النصي الذي تضمنته مؤلفات النقاد القدامى بكل أنواعه فيما يعرف اصطلاحًا بقضية السرقات الشعرية[2]، ومن هذا ما نجده من إشارات لمضمون المفارقة دونما تعرض للمصطلح أو الإشارة إليه، ولكن بالاعتماد عل مفهومه الفعلي، من ذلك ما ذكروه عن المباينة المعنوية الواقعة في بعض آي القرآن الكريم، إذ شكلت تلك المفارقات تساؤلات منطقية قابلة للطرح ونتج عن ذلك مقاربة مضمون المفارقة كما استقر عليه النقاد في العصر الحديث، ولعلنا نجد شيئًا من ذلك فيما أورده أبو حيان التوحيدي في جوابه على تساؤل مفاده: "فلم قال الله تعالى: " فبشّرهم بعذاب أليم " وهذا محذورٌ، فقلت: أرجو أن أحكيهما لك وأعرضهما على عقلك، ليكونا عندك: إنّما قال الله لهم ذلك على وجه التّهزّؤ بهم، ألا ترى أنه قال تعالى: " ذق إنك أنت العزيز الكريم "

([1]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، مادة (فرق)، (10/ 300).

([2]) ينظر: عيد بلبع، أكذوبة لتناص، دار النابغة للنشر والتوزيع– طنطا، الطبعة الأولى، 2019م، ص5 وما بعدها. فقد أورد المؤلف دلائل واضحة تشير إلى أن مصطلح التناص الغربي ما هو إلا إعادة قراءة لقضية السرقات الشعرية التي أفاض النقاد العرب القدامى في دراستها وإظهار أنواعها، وإن القارئ لهذا الكتاب سيقف على دلالات ما ذكر الباحث في هذه السطور من البحث.

وهو الذّليل اللئيم، كما تقول للرجل: يا عاقل، كانياً عن حمقه، لأنّك تكره اللفظ لبشاعته، وتضمر المعنى للحاجة إليه، ولو أفصحت باللفظ الأخصّ عن المعنى الأخصّ عاد سفهاً وصار خصومةً. والجواب الآخر أنه قال: إنّ هذا الإعلام قد تعلّق بخبرٍ لأنّه قد حاشهم إلى الجنّة بهذا التحذير، ويقال: معنى بشّرته أي أظهرت على بشرته ذلك"[3]، نستنبط من ذلك أن أوجه الاستهزاء والاستنكار قد ينتج عنها مفارقة في التعبير، وتلك المفارقة قد تكون معنوية أو لفظية على نحو ما ورد في هذا النص، فالاستهزاء أحد الأغراض التي تنتج المفارقة في الغالب.

إن ما وقف عنده البلاغيون والنقاد العرب القدامى من نصوص لم تكن مقصورة أو محصورة أو مخصوصة في اتجاه بعينه؛ إذ لا يمكن بحال أن نخصه بالشعر دون النثر، أو نخصه بالنصوص المقدسة دون النصوص الإبداعية، خاصة وأن هذا الأسلوب وجه من أوجه الخطاب الذي يحمل دلالات يقصد إليه المتكلم، وتحقق القصدية يتيح له الاستعانة بما يناسبه من أنماط التعبير.

وتوقف النقاد بعد ذلك عند النصوص التي تمثلت الأسلوب ذاته في الشعر العربي خاصة، ومن ذلك ما ذكر ابن رشيق القيرواني في التعريض، حيث إن قول الله سبحانه في تلك الآية من قبيل التعريض الذي يعني التنكيل والتبكيت وما يعادلهما من المصطلحات، بل عده من أفضل التعريض، مما يجل عن جميع الكلام ويعلوه، فقول الله عز وجل: "ذق إنك أنت العزيز الكريم" أي: الذي كان يقال له هذا أو يقوله عن نفسه، وهو أبو جهل؛ لأنه قال: ما بين جبليها يعني مكة أعز مني ولا أكرم، وقيل: بل ذلك على معنى الاستهزاء به، إذ يتقلب حاله من الكرامة والعزة إلى الذل والهوان، فالتعريض هنا يقترب من الاستهزاء، وقد عضد ابن رشيق رؤيته هذه بما أورده من الشعر المتضمن للتعريض أو التلويح باعتباره مشتق عنه، ومن أنواعها -أي أنواع التعريض- التلويح، كقول المجنون قيس بن معاذ العامري:

لقَدْ كُنْتُ أَعلُو حبَّ لَيلَى فلمْ يَزلْ بِي النَّقضُ والإبْرامُ حتَّى عَلانِيَا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً، وإياه قصد أبو الطيب بعد أن قلبه ظهراً لبطن فقال:

([3]) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ= 1988م، (8/ 136).

كتمت حبك حتى منك تكرمة ثم استوى فيك إسراري وإعلاني[4]

وفقًا لذلك يلوح لنا أن ثمَّة مقاربة فعلية بين ما عبر عنه التوحيدي بالاستهزاء والسخرية، وما عبر عنه ابن رشيق بالتعريض والتلويح، وبين بعض المصطلحات كالالتفات والعدول والمفارقة، ولعل المصطلحات في جملتها يمكن أن تنحصر في بوتقة واحدة لتشكل مصطلحًا نقديًا واحدًا، وهذه المصطلحات فروع عنه.

قد أسلفت بالذكر أن مصطلح المفارقة غاب غيابًا كليًا عن المصنفات النقدية والبلاغية والأدبية القديمة، ولكن الدلائل تشير إلى أن الغياب فقط على مستوى التعبير وليس على مستوى المفهوم والشواهد، وكما ذكرت آنفًا -أيضًا- استخدم العرب قديمًا مصطلحات تتقاطع في إحدى أوجهها –أو كليًا- مع مفهوم المفارقة، ومن ذلك ما يعرف بأسلوب (المدح بما يشبه الذم) أو (الذم بما يشبه المدح)، وهذا كثير جدًا في المؤلفات التراثية القديمة والحديثة أيضًا، ولو أمعنا النظر، سندرك أن هذين الأسلوبين من أساليب المفارقة، فلننظر إلى قول البغدادي في خزانة الأدب إذ يقول: "وَالْعرب تسْتَعْمل لفظ الذَّم فِي الْمَدْح يُقَال: أَخْزَاهُ الله مَا أشعره، ولعنه الله مَا أجرأه، وَكَذَلِكَ يستعملون لفظ الْمَدْح فِي الذَّم، يُقَال للأحمق: يَا عَاقل وللجاهل: يَا عَالم، وَمعنى هَذَا يَا أَيهَا الْعَاقِل عِنْد نَفسه أَو عِنْد من يَظُنّهُ عَاقِلا. وَأما قَوْلهم: أَخْزَاهُ الله مَا أشعره وَنَحْو ذَلِك من الْمَدْح الَّذِي يخرجونه بِلَفْظ الذَّم؛ فَلهم فِي ذَلِك غرضان: أَحدهمَا: أَن الْإِنْسَان إِذا رأى الشَّيْء فَأثْنى عَلَيْهِ ونطق باستحسانه فَرُبمَا أَصَابَهُ بِالْعينِ وأضر بِهِ فيعدلون عَن مدحه إِلَى ذمه لِئَلَّا يؤذوه"[5]، فتسويغ البغدادي لأسلوبي المدح والذم ربما له ما عضده في تراث العرب، ولكن يعنينا انتشار هذا الأسلوب في الشعر العربي القديم، وكذلك دخل هذا الأسلوب في إطار البلاغة العربية قديمًا وحديثًا، فقد عده ابن المعتز من محاسن الكلام التي تضاف إلى أبواب علم البديع، ولا غرابة أن نجده جمع هذا الأسلوب إلى جوار ما يماثله ويشابهه أو يتقارب معه سياقيًا من الأساليب أو المحسنات الأخرى كالإلتفات، والاعتراض، وغيرها[6].

إن إطار المشابهة المتحقق بين رؤية البلاغيين العرب حول الكثير من تلك المصطلحات ومفهوم المفارقة في العصر الحديث يلتقيان في نقطة اتصال تتمثل في الغرض من إحداث المفارقة، والغرض هذا أدى بالبلاغيين القدامى إلى الإكثار من نحت المصطلحات، في حين تركزت رؤية المحدثين والمعاصرين في

([4]) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل– بيروت، الطبعة الخامسة، 1401هـ= 1981م، (1/ 304).

([5]) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418هـ= 1997م، (3/ 277).

([6]) ينظر: عبد الله بن المعتز، البديع في البديع، دار الجيل– بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ= 1990م، ص22.

مصطلح يجمع محددات مضمونه ويخرج عن إطاره ما ليس منه، فلنا أن ننظر إلى ما أورده السكاكي في باب الكناية من كتابه مفتاح العلوم، وقد عدد من أوجه الكناية مصطلحات عديدة، يتداخل الكثير منها مع ما نستنبطه من مفهوم المفارقة، إذ ذكر: الإيهام، والمدح بما يشبه الذم، والتلويح، والتوجيه، والاعتراض[7]، وكل هذه المصطلحات تتقاطع أو تتداخل مع المفارقة، التي نرى أنها تعني: التباين أو التضاد الأسلوبي الحادث في سياق واحد ينتج عنه رؤى دلالية ولمحات بلاغية ضمنية، هي الغاية من ذلك التباين والتضاد أو تلك المفارقة اللغوية الظاهرية.

إن تعليلات النقاد القدامى لبعض الأساليب تفضي بالضرورة إلى ذلك المفهوم، ففي تفصيل المدح بما يشبه الذم وعكسه، يرى النقاد والبلاغيون أن "الْأَشْهر أَن يُوصف الرجل بِمَا هُوَ متصف بضده تهكماً بِهِ وسخرية. وَهَذَا من أَشد سباب الْعَرَب يَقُول الرجل لغيره: يَا عَاقل أَو يَا حَلِيم إِذا استجهله. وَنَحْوه قَوْله تَعَالَى: ذقْ إِنَّكَ أنتَ العزيزُ الْكَرِيم"[8]، وقد كثر الاستدلال بتلك العبارة وهذه الآية في هذا الباب، والغاية أن المتكلم بهذا الأسلوب أحدث مفارقة ضمنية لها دلالة على مستوى الخطاب العادي، ولها دلالة وغرض بلاغي في الخطاب الإبداعي، فلو أن رجلًا يقول لرجل معروف بسفاهته: يا عاقل وهو يعني العكس، ومعهما ثالث لا يعرف ذلك السفيه، فهو أمام أحد خيارين في استنباط الرسال الموجهة من الخطاب المسموع، فإما أن يستقبل العبارة على حقيقتها لجهله بالمخاطَب، وإما أن يكون على دراية بنهج العرب في التعبير، وفقًا للنص السابق، ولكن فيما أرى لا ينبغي أن يكون التعبير المتضمن للمفارقة خلوًا من قرينة توقف السامع أو المتلقي على المقصود من الخطاب، وخاصة الخطاب الأدبي، وهذا متحقق بالفعل، فلو أمعنا النظر في الأنموذج المحتذى في هذا السياق من كتاب الله سبحانه، وهو قوله تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الكريم، فلفظة (ذق) شماتة، وبقية الكلام تهكم"[9]، إذ المفارقة تتضح من السياق الدال على إذاقة العذاب للكافر، ووصفه بأوصاف العزة والكرامة، وبهذا نستوضح أن كلام المولى سبحانه وتعالى لم يخلُ من القرينة المبينة للمراد، هذا إذا أغفلنا السياق الكلي الذي تندرج في إطاره الآية الكريمة.

إن المفارقة مصطلح يندرج في علم البلاغة بلا جدال في ذلك، وحين نقر بمثل هذا الرأي، نكون

([7]) ينظر: يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ= 1987م، ص 427 وما بعدها.

([8]) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، (5/ 110).

([9]) عبد العظيم بن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– الجمهورية العربية المتحدة، ص567.

مطمئنين إلى كثرة ورود مضمونه في التراث البلاغي، وأقصد إلى التعبير بكلمة مضمونه لأن المصطلح ذاته لم يرد ولم يعبر به على الحالات المشابهة، فأغلب الأساليب القائمة على التضاد والمباينة والاختلاف هي مفارقة، وهذه المفارقة لها مستويات لا بد أن تتحقق، ومن هذه المستويات ضرورة وجود اختلاف أو تنافر في التعبير، وذلك التنافر قد يكون تضادًا أو غيره من الأساليب التي تنتج الدلالة نفسها، كما ذكرنا في أسلوب المدح بما يشبه الذم وعكسه، فلننظر إلى ما استشهد به ابن المعتز في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم[10]، إذ أنشد قول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقول النابغة الجعدي:

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

حيث أورد في سياق نفيه لفظ الاستثناء (غير) الذي يوهم القارئ بأنه سيذكر عيبًا وحيدًا تداركه عليهم، ولكن بإتباع القراءة واستئنافها نجد أنه استطرد في ذكر محاسنهم، أو ذكر عيبًا في حقيقته منقبة لممدوحيه، وهذا الأسلوب كثير ومنتشر في الشعر العربي على مر العصور، وهو من أبلغ الأساليب التي يعتمد على الشاعر في المدح والهجاء والغزل والرثاء، والنهج ذاته نجده في بيتي النابغة الجعدي أيضًا، وهنا نجد أن هناك مفارقة لغوية أحدثها الشاعر بإيراده لفظة (غير)، اتي تستعمل في الاستثناء الذي يقوم على المغايرة بين ما قبلها وما بعدها، ولكن ما بعدها في سياق هذه الأبيات متمم لما قبلها، ولعل الشاعر يريد بهذا التأكيد على تلك الخصيصة التالية وإفرادها عن غيرها لإظهارها والاعتناء بها.

يستوقفنا ما أورده ابن أبي الإصبع العدواني في كتابه تحرير التحبير من أوجهٍ لباب تأكيد المدح بما يشبه الذم، فهذه الأوجه –في الغالب- تبنى على المفارقة، ومن ذلك ما ذكره في باب (الإيضاح- والتشكيك- والحيدة والانتقال- والشماتة- والتهكم- والتنذير)[11]، وغير هذه الأبواب التي تتفرع إلى مسوغات ضمنية لتأكيد المدح بما يشبه الذم، ومن ذلك ما أورده في باب التهكم، الذي عرفه بقوله: "وهو في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء، فشاهد البشارة من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: 138] ، وقد مر في الباب الذي قبله

([10]) ينظر: السابق، ص133.

([11]) ينظر: عبد العظيم بن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص556 وما بعدها.

قوله تعالى: " ذق إنك أنت العزيز الكريم " وهو شاهد الاستهزاء بلفظ المدح"[12]، أفلا يدل ذلك على المفارقة التي تعني التضاد أو التنافر الظاهري لاعتبارات دلالية وبلاغية؟

وعلى النقيض من ذلك نجد حضور المفارقة في الهجاء بما يشبه المدح، وهذا أيضًا كثير في كلام العرب، وهو أن يقصد المتكلم إلى هجاء إنسان، فيأتي بألفاظ موجهة، ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه، كقول بعضهم في بعض الأشراف[13]:

له حق وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقًا عليه لغيره وهو الرسول

فأما ألفاظ البيت الأول على انفرادها فلا تكاد تصلح إلا للمدح ولا يفهم منها غيره؛ وأما البيت الثاني لو انفرد أيضاً لما فهم منه مدح ولا هجاء، ولكن قرن البيتين ببعضهما وضح الدلالة ويزيل اللبس؛ إذ يظهر الهجاء بالتهكم بين حال ذلك المهجوّ الذي لا يرى على نفسه أي حق لغيره، ويرى حقوقه على الناس، وكل قوله صواب، وحال الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يقر بحقوق الناس وهو المعصوم وصاحب مكارم الأخلاق، ولعل الممعن في النظر يدرك أن هذا الهجاء مقذع بأسلوب يظهر عليه التأدب والوقار، والقرينة الدالة على ذلك الهجاء تتضح من سياق البيتين مجتمعين، ولا توجد قرينة لفظية منفصلة توضح المراد على نحو ما نجد في قول الله سبحانه (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)، إذ القرينة اللفظية واضحة، والسياق كذلك يعضد دلالتها ويؤكده.

لم تكن تلك الرؤى المتعلقة بالتعريض وغيره من المصطلحات والأبواب النقدية والبلاغية المتناصة مع مفهوم المفارقة وليدة في تلك المؤلفات التي عرضنا له فيما سبق، إذ نجد إشارات ترجع للجاحظ وتدور حول تلك لرؤية لتي يشير إليه مفهوم المفرقة المعاصر، فقد عرف الجاحظ برؤيته النقدية والبلاغية الثاقبة، التي بني عليها نظريات ظهرت مستقلة في مراحل زمنية تالية لعصره، وهذا أكثر من أن ندلل عليه في هذا المقام، ولكن الإشارة تغنينا عن العبارة، فنشير إلى مقولته في المعاني المطروحة في الطريق[14]، وبالطريقة ذاتها نجده يلمح لمضمون المفارقة في إحدى تنظيراته المهمة للمباينة بين حالين إذ يقول:

"لو أن رجلين خطبا أو تحدثا، أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلاً جليلاً بهيّاً ، ولباساً نبيلاً، وذا حسب شريفاً ، وكان الآخر قليلاً قميئاً، وباذِّ الهيئة ذميماً، وخاملَ الذِّكر مجهولاً، ثم كان كلامهما في مقدارٍ

([12]) السابق، ص568.

([13]) السابق، ص550.

([14]) ينظر: الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ، (3/ 67).

واحدٍ من البلاغة، وفي وزنٍ واحدٍ من الصواب ، لتَصدَّع عنهما الجمع وعامتهمُ تقضي للقليل الدَّميم على النبيل الجسيم، وللباذَّ الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به، ولصار التعجَّب منه سبباً للتعجب بهِ، ولصار الإكثار في شأنهِ علَّة للإكثار في مدحهِ، لأَنَّ النفوس كانت له أحقر ومن بيانهِ أيأسِ ومن جسدهِ أبعد، فإذا هجموا منه على ما لم يكونُوا يحتسبُونه، وظهر منه خلافُ ما قدَّرُوه، تضاعفَ حُسْنُ كلامه في صدورهم، وكبرُ في عيونهم، لأَنَّ الشيءَ من غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبْعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع"[15].

لو دققنا فيما ذكره الجاحظ في هذا النص، لأدركنا أنه يشير إشارة واضحة لمفهوم المفارقة، ولكن المصطلح لم يظهر بمحدداته إلا في العصر الحديث، لذلك يوازن الجاحظ بين حال رجلين بليغين، وينتهي إلى التقرير بالتفاف الناس حول صاحب الهيئة المبتذلة؛ لأن عقولهم مهيئة لاستقبال تلك البلاغة من صاحب الهيئة الحسنة جميل المنظر والمظهر، ولكنها غير مهيئة لاستقبال ذلك من الآخر، وقوله هذا يوشي بأن الناس انجرفت وراء قوة نفسية داخلية للاندهاش بما صدر من هذا الرجل، فهو أحدث ما لم يكن متوقعًا لديهم، وبذلك يعد الموقف التوضيحي من الجاحظ هو إعلان لولادة المفارقة واستقامة معناها البلاغي.

إن معنى المفارقة بتلك الرؤية مترسخة ومتجذرة في كلام العرب وبالضرورة في أفهامهم، ومن ذلك ما حكاه الجاحظ أيضًا من جواب لأحد الفقهاء عندما سئل "ما الفأل؟ قال: أن تسمع وأنت مضلّ: يا واجد، وأنت خائف: يا سالم. ولم يقل إنّ الفأل يوجب لنفسه السلامة. ولكنّهم يحبّون له إخراج اليأس وسوء الظن وتوقّع البلاء من قلبه على كل حال- وحال الطيرة حال من تلك الحالات- ويحبون أن يكون لله راجيا، وأن يكون حسن الظن"[16]، فهذا أيضًا من المفارقة في أحوال العرب قديمًا، إذ يرغبون في سماع ما يخالف حالهم الذي هم عليه، وهو منتشر في الشعر العربي الجاهلي.

وقد أورد عبد القاهر الجرجاني ما يقارب ذلك المفهوم دون التصريح به أيضًا، إذ يقول في تفصيل أنماط التشبيه وبلاغته: "ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقوداً على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولُهم: هو يَصْفُو ويكدر ويَمُرُّ ويحلُو ويشُجُّ وَيأْسُو، ويُسرِحُ ويُلجم، لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصِّفتين، فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى، لأنك لو قلت: هو يصفو، ولم تتعرض لذكر الكدر أو قلت: يحلو، ولم يسبق ذكر

([15])الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال– بيروت، د.ط، 1423هـ، (1/ 92).

([16]) الجاحظ، الحيوان، (3/ 220).

يَمُرُّ، وجدت المعنى في تشبيهك له بالماء في الصَّفاء وبالعسل في الحلاوة بحاله وعلى حقيقته" [17]، فذكر الصفة بغير ضدها في التشبيه تخرج الكلام من إطار البلاغة إلى الحقيقة والمباشرة، وهذا ليس بهدف في أذهان الأدباء والمبدعين، ولكن غايتهم أن يأخذوا بلب السامع والقارئ، فوجب عليهم الاعتماد على أوجه الفصاحة والبلاغة، ومن ضمنها المفارقة، إذ نعلم ما اشتهر من كلام العرب إذ قالوا قديمًا: وبضدها تتميز الأشياء، وهذه الجملة في حد ذاتها يمكن صياغتها لتشكل تعريفًا جامعًا مانعًا عن المفارقة في رؤية النقاد والبلاغيين العرب.

نظر البلاغيون والنقاد القدامى إلى ما ينتجه النص من جماليات على مستويات شتى، وهي التي تنتج عن أساليب تعبيرية لها قيمتها البلاغية المرتكزة على اللغة والأسلوب والمعنى واللفظ وغيرها، ولو نظرنا إلى حال المفارقة بالاصطلاح الحديث؛ سندرك أنها تتعالق مع غالبية مكونات النص الأدبي أو النص المحكوم له بالبلاغة والفصاحة، وإحداث المفارقة على تلك المستويات تنهض على رؤية معمقة في الوجود والأشياء والحياة بأسرها، فربما لا يحكمها المتكلم إلا إذا شذّ عن الطوق وفارق الواقع وخالف الحال وباينه.

ثانيًا: المفارقة في رؤية النقاد والبلاغيين العرب في العصر الحديث:

انقسمت الساحة العربية في العصر الحديث بين التراثيين أو أتباع الثقافة العربية الخالصة الذين عكفوا على نتاج أسلافهم دراسة وبحثًا وتحقيقًا وتنقيحا، وبعض الحداثيين الذين ساروا خلف ركب الحداثة وآمنوا بكل وارد من الغرب دون مناقشة أو تثبت من إمكانية وجود إرهاصات فعلية لذلك الوارد الغربي، فقد نجد معالم الفصيل الأول متحقق في مصطفى صادق الرفعي من خلال كتاباته ورؤاه النقدية والبلاغية، إذ يقول ما يتعالق ما رؤية أسلافه مما عرضته سابقًا من رؤية حول بعض الإرهاصات التي تشير المفارقة، فقد أورد في معرض حديثه عن الشعر الهزلي قوله: "وأكثر ما يكون ذلك عندهم في معاني الهجاء، ولهذا سماه المتأخرون التهكم، والهزل الذي يراد به الجد، وقالوا في الفرق بينهما إن التهكم ظاهرة جد وباطنه هزل، وهو ضد الثاني؛ لأن ظاهره يكون هزلًا وباطنه جد، وقد ورد منه في القرآن قوله تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} وقوله: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}"[18]، ولا نقصد إلى تطويع النصوص للإقرار بما نراه، ولكن الحقيقة التي نسعى إلى تحقيقها هي الواقع الفعلي لما استقر عليه الأدباء والنقاد والبلاغيون من رؤى ونظريات لها شأنها، ولعل الرافعي وهو يتكلم في هذا النص عن الشعر الهزلي الذي تحضر فيه المفارقة

---

[17] أسرار البلاغة في علم البيان : للإمام عبد القاهر الجرجاني : علق عليه محمد رشيد رضا : 82 .

([18]) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي– بيروت، د.ط، (3/ 91).

بأنماطها؛ ولكنه لم يشر إلى المصطلح بعينه، ولكنه يعضد ذلك بما أورده النقاد قديمًا من نصوص القرآن الكريم.

وهناك ملمح آخر تجدر الإشارة إليه؛ وهو أن الكثير من النقاد والبلاغيين استدلوا واستشهدوا بقول الله سبحانه {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم}، ولكن سياق الاستدلال كان متقاربًا ولم يكن متشابهًا تشابهًا كليًا، وبناءً على ذلك نرصد أن منهم من استدل بها على سياق الشماتة، أو الاستهزاء والتهكم، أو التعريض والتوبيخ، أو السخرية أو غيرها، وهنا يستشهد بها الرافعي في سياق بحثه عن ماهية الشعر الهزلي، وهذا لم يكن تضاربًا أو يشكل رؤى مختلفة بين هؤلاء الأدباء، ولكن كل ما ذكر من أبواب يمكن أن يدخل في إطار المفارقة، ولكن المصطلح لم يتشكل أو يولد بعد.

تستقر رؤية البلاغيين والنقاد العرب القدامى ومن انتهج نهجهم من المحدثين على أن المفارقة تمثل مغايرة لفظية يترتب عليها مباينة معنوية أو خيالية أو تصويرية، وهذه المباينات أو الاختلافات تنتج عن طبيعة عقلية ذهنية تؤمن بأهمية إحداث المقابلة باختلاف أنواعها في بنية الخطاب لإظهار جمالياته التعبيرية، وعلى ذلك يظهر لنا أن المفارقة تكتسب أهمية كبرى عبر التاريخ الأدبي واللغوي باعتبارها مندرجة في طيات البلاغة، ولا يخفى علينا اهتمام العرب بشكل خاص ببلاغة الخطاب.

وإذا آمنا أن هناك شيء من التراتب والتلاحم بين الثقافات العالمية قديمًا، باعتبار تقارب الثقافات وتداخل الحضارات؛ سندرك أن ظهور المفارقة بمصطلحها المعاصر نتيجة حتمية لذلك التتابع، فما السفسطة اليونانية ووسائل التلاعب اللفظي والمعنوي في الشعر والخطابة والسخرية والتهكم إلا بداية وقوف على ما يعرف بالمفارقة، وذلك باعتبارها طبيعة تجبل عليها النفوس قبل أن تكون صنعة فنية يهدف إليها المبدع، وذلك لأننا قد نجدها في الخطاب الإبداعي ونجدها كذلك في الخطاب العامي اليومي والكلام المباشر، لذلك نجد النقاء والأدباء والبلاغيين العرب في العصر الحديث قد أحسنوا استنباط المفارقة في النصوص الشعرية، ولعلنا نقف على شيء من معالم ذلك فيما أورده يوسف خليف من كتابه عن الشعراء الصعاليك إذ يقول:

"أما الشنفرى فيستغل أولاد البقر في رسم صورة غريبة، فهو يشبه سيوف رفاقه الصعاليك مشرعة في أيديهم وهي تنهل من دماء أعدائهم وتعل، بأولاد البقر الصغار إذا رأت أمهاتها فجعلت تحرك أذنابها:

تراها كأذناب الحسيل صوادرا وقد نهلت من الدماء وعلت

وهي صورة تستمد غرابتها من هذه المفارقة بين طرفي التشبيه: أولاد البقر الصغيرة، وسيوف

الصعاليك المخضبة بالدماء"[19]

فلننظر إلى إشارة يوسف خليف إلى المفارقة الواقعة في التشبيه بين الصعاليك وصغار البقر، فهنا نجد مفارقة معنوية بديعة، إذ يُرى في صغار البقر الوداعة والضعف، ولكنا نجد شدة الشغف منهم للرضاع من أمهاتهم، وهو حال شغف الشنفرى ورفاقه للإمساك بالسيوف وإرقة الدماء، وهذا كإشارة منه للشجاعة، فهذه مفارقة في التصوير لها جمالياتها التي أظهرت المعنى المراد التعبير عنه.

أظهر إحسان عباس عناية مفرطة بالمفارقة، إذ أكثر من ذكر المصطلح في مؤلفاته، ومن هذا ما نراه من تعبيرات تنم عن حقيقتها كما في قوله عن إحساس الناقد بالتطور والتغيير في الحركة الإبداعية: "في الذوق العام او في طبيعة الفن الشعري أو في المقاييس الأخلاقية التي يستند إليها الشعر أو في العادات والتقاليد التي يصورها أو في المستوى الثقافي ونوع الثقافة في فترة إثر أخرى أو في مجموعة من القيم على وجه التعميم؛ ذلك لأن هذا الإحساس بالتغير والتطور هو الذي يلفت الذهن - أو ملكة النقد - إلى حدوث "مفارقة" ما، ولا بد لهذه المفارقة أول الأمر من أن تكون ساطعة متباعدة الطرفين، حتى تمكن النظر الذي لم يألفها قبلاً من رؤيتها بوضوح"[20].

في هذه المقدمة الثرة من كتابه؛ عرض إحسان عباس للعديد من القضايا التي وقف عليها في أثناء عمله في كتابه الذي جمع من خلاله تاريخ النقد الأدبي عند العرب، وهو في هذا النص يشير إشارة واضحة إلى مضمون المفارقة، والتي تحمل دلالات المباينة والمقابلة على مستوى اللفظ أو المعنى، ويعرج كذلك على اقتران محدداتها بالذهن لدى المبدع والناقد أو البلاغي على السواء، ولا ينفي مبدأ التكامل والتتابع في استنباط هذا الأمر وترسخه في مختلف اللغات والثقافات، وقد ذكر ذلك صراحة من أننا لا نعدم أثرًا للثقافات اليونانية وغيرها على الثقافة العربية على مستوى النقد، فلنا أن ندرك أن الثقافات قد انتشرت في العصر العباسي بجهود الحكم، وقد ساعدت على إيجاد الوعي العميق عن طريق المفارقة والمقارنة، وهي أول حوافز النقد[21].

لقد أولع إحسان عباس بالمفارقة، وأدرك أهميتها على الممستوى النقدي والأدبي، فلا غرابة أن نجد لذلك المصطلح حضورًا قويًا في مختلف مؤلفاته النقدية والأدبية، وهذا يشير إلي إدراكه أهمية المصطلح على مستويات شتى، إذ نراه يقول معلقًا على تلك المفارقة الشعرية بين منظر الطبيعة الضاحك المشرق وحال

([19]) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف– مصر، الطبعة الرابعة، د.ت، ص300.

([20]) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة– بيروت، الطبعة الرابعة، 1983م، ص8.

([21]) ينظر: السابق، ص472.

الحزين، فقد زاد هذا في عمق المفارقة، ولم ينجح في إثارة الطبيعة للعطف على حاله حين ذكر اعتلال النسيم وتخيل بكاء الزهر بماء الندى إشفاقا ومشاركة له، لأنه أمعن في تصوير الاستبشار والنمو والتفتح في جنبات الطبيعة، ولكن إحداث المفارقة له وقعه في نفس المتلقي، خاصة وأنه يشكل بتلك المفارقة رمزًا إلى محبوبته[22].

وقد نجد درسات تطبيقية عن المفارقة قد أنتجها إحسان عباس في وقت مبكر من العصر الحديث، بخلاف ما أوردته من رؤى عاجلة بشأن هذا المصطلح، وهذه الدراسة التطبيقية لم يفصح إحسان عباس عن مصطلح المفارقة في عنونتها ولا عناصرها الداخلية، ولكن هذا ما تنم عنه طبيعة الدراسة التي أجراها عن الشاعر العراقي بدر شاكر السياب، فقد أخضع نصوصه وقصائده للتحليل، مستظهرًا تلك المفارقات التي اعتمد عليها الشاعر في نصوصه الشعرية، ولنا أن نستحضر في هذا المقام ملمح له أهميته، وهو أن نتاج السياب يحمل في الغالب على الشعر الحر أو شعر التفعيلة، وقد اعتمد شعراء ذلك النهج على المفارقة الشعرية اعتمادًا مركزًا، ولعل هروع إحسان عباس لاستظهار اعتماده على التضاد والمناقضة والتعريض أو لنقل إجمالًا على المفارقة، وهذا قد وضحه في غير موضع من كتابه، يقول في ذلك:"كذلك فان إيراد نداء أنصار السلام جاء دخيلًا على هذا المبنى الواضح (وإن التزم فيه الشاعر مبدأ التقابل)، أن التعاقب بين الخير والشر في بناء القصيدة هو خير ما فيها؛ لأنه يضع الذهن في موضع المفارقة والمقارنة، وعن طريق ترسيخ هذا التأثير في نفس القارئ حاول الشاعر واعيًا - أن يقول كل ما يجعل الحرب كريهة لديه وأن يجعل السلم جميلًا في عينيه، أي أن القصيدة تراوح مستمر بين التقبيح والتزيين"[23]، وهذا عين المفارقة التي نقصدها بما ذكرناه آنفًا.

بل إن المفارقة حاضرة في الحياة بمناظرها ومشاهداتها على حسب رؤية إحسان عباس لها، وإن من أهم أوجهها السخرية التي تستثير مكامن النفس، وتخرج الإنسان عن طور وقاره وجدته، ومن ذلك ما يحكيه عن موقف من مواقف السياب التي استثارت حفيظته ودعته للضحك، ومفاده هذا الخبر أن "فيصلا ونوري السعيد وعبد الإله اتفقوا ضد الشعب العراقي وعقدوا اجتماعا في قصر الزهور "، فاستولى الضحك على بدر ولم يستطع إسكاته، لأنه حين تصور الملك الطفل تنسب إليه أمور خطيرة الشأن، أضحكته المفارقة، ولكن

([22]) ينظر: إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة– بيروت، الطبعة الخامسة، 1978م، ص202.

([23]) إحسان عباس، بدر شاكر السياب حياته وشعره، دار الثقافة– بيروت، الطبعة الرابعة، 1978م، ص154.

الرفاق ثاروا عليه، وقرروا طرده من الحفلة"[24]، فالمفارقة حدثت في ذهن السياب بين تصوره لاجتماع البراءة والخطورة، أو العظمة والعبث، أو غيرها من المتناقضات التي تتداعى على صبي ملك بلدًا، وبهذا نرصد ملمحًا مهمًا أشار إليه إحسان عباس في شعر السياب، مفاده أن الشعر اعتبر المفارقة نهجًا عامًا في حياته، وبالتالي ظهر حضوره في نتاجه الإبداعي على وجه العموم.

إذ يشير إلى تلك الرؤية المتناقضة التي استوحاها السياب في إحدى قصائده عن الحارس، الذي وُكل من قبل الدولة لحراسة الناس وأموالهم ليلًا، ولكنه ناقض حاله وصار حارسًا للبغايا، وأود أن أذكر كلام إحسان عباس كاملًا في هذا السياق بغية تأكيد اهتمامه بالمفارقة إذ يقول:

"ومن تلك الأهداب استغلاله المفارقة الساخرة في القصيدة: المفارقة التي الحارس ساهرا على اقتضاء حق الدولة في إجازة الخطيئة لا على حماية الناس منها، وتجعل هذا الحارس نفسه وهو في حي البغايا يردد أغنية " تصف السنابل والازاهر والصبايا " والمفارقة التي تجعل الذباب شبعان من قمامة المدينة والخيول تجد غذاءها في الحظائر والحقول بينهما الإنسان جائع، والمفارقة التي جعلت " الشرف الرفيع " و " الآباء " و " العزة القعساء " سلعا تعرض في سوق الشهوات فلا تجد مشتريا. والمفارقة التي تجعل عمياء تنفق كسبها القليل لإضاءة مصباح، ثم تلك المفارقة الساخرة في الأسماء: فالمرأة تسمى سليمة وهي لديغة تسوطها الشهوات وترقع وهيها بالدهان"[25]

لنا أن نحكم بأن النقاد العرب جنحوا –في الغالب- إلى تلك الرؤى التي قال بها أسلافهم عن مضمون المفارقة، مع أننا لم نجد مصطلح المفارقة في مؤلفات النصف الأول من القرن المنصرم، ولكنا وقفنا على معناه ومفهومه وما يندرج في إطاره، أما النصف الثاني من القرن ذاته نجد الجمع بين المصطلح وما يتعالق معه من مصطلحات ومفاهيم من العصور السابقة، دون إشارة إلى إفادتهم بصدد ذلك من الآداب الغربية الحديثة، وهذا ليس دليلًا على نفي ذلك قطعًا، ولكن هذا يعد احتمالية يعضدها ما أورناه آنفًا من أقوال وتحليلات.

لا شك أن إحسان عباس أكثر نقاد جيله ذكرًا لهذا المصطلح بمحدداته وتطبيقاته التي تنم عن مفهومه المعاصر، ولكنه لم يكن منفردًا في ذلك، إذ نجد إشارات لعبد الله الطيب في كتابه المرشد، وكذلك إشارات لشوقي ضيف في الكثير من مؤلفاته، وقد عرف هؤلاء جميعهم بنزعتهم العربية الخالصة، إذ أظهروا عنايتهم بالنقد والأدب العربي، ومن ذلك ما يشير إليه شوقي ضيف في قراءته لبيت لأبي تمام يقول فيه:

([24]) السابق، ص175.

([25]) السابق، ص202.

هي البدرُ يغنيها تودُّد وجهِهَا إلى كلِّ من لاقت وإن لم تودَّدِ

حيث يستحضر شوقي ضيف أسلوب المفارقة التي ظهرت من التضاد، إذ يرى القارئ "طباقًا فلسفيًّا جديدًا ما يزال أبو تمام يستخرج منه صورًا نادرة، وانظر إلى صاحبته فهي تودُّ من لا تود، وهو يثبت هذا التضاد الغريب بتلك المفارقة الطريفة؛ فوجهها يتودد بسحره وجماله، وإن رفضت هي هذا التودد وأظهرت الإباء والامتناع، أرأيت إلى هذا الطباق؟ إنه من نوع آخر غير طباق الذاكرة الذي رأيناه عند البحتري، والذي يعتمد على العبث اللفظي حين نذكر الوصل فيأتي الهجر، والليل فيأتي النهار"[26]، وكلامه يشير إلى المفارقة مع أنه عبر عنه بالطباق الفلسفي، ولكن تفصيله بعد ذلك يشير إلى أن ما أحدثه يتخطى مرحلة الطباق الحقيقي الذي يعتمد على اللفظ فقط، وهذه عينها المفارقة الشعرية، مع أنه لم يذكر المصطلح صراحة، ولكن كلامه ينم عنها.

أفصح شوقي ضيف عن مضمون المفارقة دون الإفصاح عن المصطلح ذاته، ولكنه تدارك هذا وذكر المصطلح مباشرة في مواضع أخرى غير هذا، بل إنه عده فنًا متكاملًا له الكثير من الأوجه التي تتعالق معه، فلننظر إلى نصه الذي يقول فيه:

"والطريف أنه يصل إلى ذلك لا عن طريق السب، والشتم، والقذف، وإنما عن طريق ما يسوقه من تهكم وسخرية لاذعة بصاحبه، فإذا هو يحتكم معه إلى نظرية الأوساط اليونانية يستمد منها متناقضاته، كما يحتكم إلى قبحه، وما يضفيه عليه من هذا الحسن الحادث، ليستخرج كل ما يمكن من مفارقات فيه، وإنه يستعين على ذلك بضروب من الجدل والاحتجاج والحوار، كما يستعين عليه بضروب من السفسطة، والمغالظة، والمقابلة بين الحقائق بعضها وبعض، أو المقابلة بينه وبين أشياء أخرى على نحو ما يصنع به في هذه القطعة من المقابلة بينه، وبين القمر هذه المقابلة الساخرة الطريفة، التي يبعث فيها به ما شاء له هواه، وهو عبث يستخرجه من التناقض بين قبحه الحقيقي، وحسنه الذي ادعاه له، كما يستخرجه من قصره، وما ادعاه له من طول وتربيع، ومعنى ذلك أن الجاحظ بنى رسالته على فن المفارقة، هذا الفن الذي رشحت له نظرية الأوساط اليونانية عنده"[27].

أظهر شوقي ضيف –عن غير قصد منه- تلك التراتبية الفكرية التي تناقلتها الأجيال بمختلف لغاتها، إذ المفارقة من دواعي المعاملات التي جبلت عليها النفوس، وأحسن المبدعون استثمارها لإظهار بلاغتهم وبيانهم، فهو يرى أن فن المفارقة -بتعبيره- مستمد من الأوساط اليونانية، ولا شك لدينا في أن الأوساط

([26]) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف– مصر، الطبعة الثانية عشرة، د.ت، ص250.

([27]) شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف– مصر، الطبعة الثالثة عشرة، د.ت، ص186.

اليونانية على علم تام بهذا الأسلوب، ولكنه ليس قسرًا عليهم دون غيرهم، فلو دققنا النظر في أشعار الجاهليين؛ بل ونثرهم، لوجدنا حضورًا قويًا للمفارقة في نتاجهم الأدبي، إذ الواقع -كما قررنا آنفًا- قائم طبيعة الإنسان وما يصدر عنه، ولو توسعنا قليلًا لوجدنا من أفعال المفارقة الكثير لدى الطير والحيوان، وهذا إلى عدلنا بالمصطلح من مفهومه العام إلى مفهوم المراوغة، أو إحداث غير المتوقع، وقد أوردت فيما سبق بيت الشنفرى ولا داعي للإكثار من التمثل والاستشهاد على واقع فعلي ملموس.

المفارقة في إحدى حالاتها هي حدوث غير المتوقع، وهذا المفهوم من إحدى المفاهيم التي ضمنها شوقي ضيف كلامه، فهو يعجب من تلك المفارقة المنطقية التي اعتمد عليها ابن سودون، "والحق أن ابن سودون كان جعبة هزل وفكاهة، وقد بنى فكاهته على المفارقة المنطقية فنحس دائما بعدوانه على منطقنا ببلاهته، ونشعر كأنما الأشياء من حولنا تهوى من أبراج عالية، هى أبراج المنطق والعقل الواعى، فنضحك ونسترسل فى الضحك"[28]، فمخالفة الواقع مفارقة له، وفي ذلك يكمن الهزل على حقيقته، وهذا في الغالب يقصد لذاته وفقًا لاعتبارات بلاغية وأدبية، فالغاية مما أوردته لشوقي ضيف وإحسان عباس من قبله أن نشير إلى حسن استثمارهم للآداب العربية والمؤلفات النقدية، دون الانجراف خلف ركب الحداثة، إذ عمدا إلى استظهار المصطلح من نتاج أسلافهم، وعلى نهجهم وطريقتهم سار عبد الله الطيب، إذ ذكر هذا المصطلح في كتابه المرشد إلى فهم أشعار العرب، مفصحًا عن دلالته المعاصرة[29]، وكذلك يضاف إليهم عفيف عبد الرحمن الذي تعرض للمفارقة الضدية في أشعار العرب قائلًا:

"تتكشف في القصيدة مفارقة ضدية، هي أنه في حين أن الحدة وروح المغامرة يواجهان الهشاشة والموت ويتجاوزانهما، إلّا أنهما يحطمان الحياة، ويزيدان إبراز هشاشتها. وهذه المفارقة الضدية تتخلل القصيدة كلها وتصل إلى نقاطها الذروية في كل موضع فيها حيث تسيطر الحيوية والحدة"[30].

إن هؤلاء الأدباء والنقاد قامت دراساتهم على الأدب والنقد العربي القديم، لذلك نجد شيئًا من المشابهة بينهم جميعًا في ذكرهم لمصطلح المفارقة، وأغلبهم ذكره ذكرًا عابرًا لا يمثل ظاهرة تسترعي الانتباه، غير أن إحسان عباس عرض له تطبيقيًا من خلال قراءته لشعرر بدر شاكر السياب، وكذلك عبر عنه شوقي

([28]) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (7/ 399).

([29]) ينظر: عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الأثار الإسلامية- الكويت، الطبعة الثانية، 1409هـ= 1989م، (3/ 345).

([30]) عفيف عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، دار الفكر للنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، ص216.

ضيف باعتباره فنًا له محدداته المستقلة، أما عبد الله الطيب وعفيف عبد الرحمن ومن قبلهم جميعًا الرافعي لم يهتموا كثيرًا بالمصطلح، مما جعل إشاراتهم عنه لا تتخطى مرحلة البلاغية والنقاد القدامى حتى وإن لم يذكروا المصطلح صراحة، فإذا أعملنا النظر ودققنا سنجد أن إكثار إحسان عباس وشوقي ضيف من إيراد مصطلح المفارقة تطبيقًا وتنظيرًا سندرك استشعارهما بأهميته في الدرس الأدبي والبلاغي العربي، ولم أقف على إشارة توحي بأنهما تأثرا في ذكره بالنقاد الغربيين، والواقع يحتم علينا أن نذكر جهدهم جميعًا كما رأيناه، وأن نقر بإفادتهم بهذا المصطلح من نتاج أسلافهم العرب، خاصة وأنهم -جميعًا- صرحوا بالمصطلح في طيات دراساتهم عن الأدب العربي القديم.

ثالثًا: التعريف بمفهوم المفارقة عند النقاد الغربيين.

يرجع ميويك دي سي مصطلح المفارقة إلى أفلاطون وسقراط، مشيرًا إلى كثرة استخدام الفلاسفة اليونانيين لها، ويشير إلى صعوبة الوقوف على تعريف لمحدداتها يوضح مفهومها والمقصود منها، وقد ذكر أنها قديما تعني (قول شيء والإيحاء بنقيضه)، إلى أن استقرت الرؤية إلى أنها تعني: نمط من السلوك تنطبق على استعمال اللغة بشكل مخادع، وأصبحت آيرونيئيا الآن صيغة بيانية: الذم ما يشبه المدح، والمدح ما يشبه الذم[31]، وهذا القول حقيقة لا يمكن تخطيها، خاصة وإذا التفتنا إلى أن المفارقة قريبة الصلة من تكوينات الخطاب التي تنتج عن العقل وتصدر عن النفس، وهذا ما جعل حضورها في الفلسفة أسبق بمراحل عن حضورها في الدرس النقدي، ولا يخفى علينا تأثر النقاد العرب في مراحل من العصور القديمة بالنقد والفلسفة اليونانية.

نظر الغربيون لمصطلح المفارقة وعرضوا له ولكن كل رؤية تختلف عن الأخرى في طريقة الصياغة وكيفية الاستنباط، غير أنا ربما نجد الإطار المفهومي للمفارقة حاضر في مختلف التعبيرات، ومن ذلك ما أورده ميويك في كتابه من تعريف نقله عن صمويل هاينز، والذي يعرف المفارقة بأنها: "نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة ليس فيها واحدة صحيحة دون غيرها، وأن تجاور المتنافرات جزء من بنية الوجود"[32]، فهو يقرن بتعبيره بين المفارقة والحياة، أي أنها أسلوب في الحياة نجد معالمه وخصائصه حاضرة في الخطاب والتعامل البشري، فمشاهداته للمتناقضات أحاله إلى مضمون المفارقة، ورصده

([31]) ينظر: ميوك. دي سي، المفارقة وصفاتها: موسوعة المصطلح النقدي4، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، ص26، 43.

([32]) السابق، ص36.

لاختلاف التعبيرات أحاله أيضًا إلى إدراك المفارقة، وهذا لا يبعد عما قلنا به سابقًا.

وغير ذلك نجد من يعتمد على الاختصار في التعبير عن مفهوم المفارقة، وهذا يحملنا على إدراك شفافية المصطلح وحضوره بقوة، إذ يمكن لأي إنسان أن يلحظ ذلك ويدركه بعقله وحواسه، ولعل ماكس بير بوم كان مستشعرًا لتلك الرؤية حين عرف المفارقة بأنها إحدى الأساليب المنتجة "أبلغ الأثر بأقل الوسائل إسرافًا"[33]، فهي بهذا في إطار البلاغة والفصاحة والبيان، إذ لا يتحقق الأثر إلى للقول الفصيح البليغ المبين.

إن تلك التعريفات لا تشكل أكثر من رؤى تعبر عن استنباط القائل بها لمفهوم المفارقة، والاختلافات الواقعة لا يصح أن ندرجها في إطار المباينة والتضاد، ولكن يمكن أن نجعلها شيئًا من التتابع والتراتب الذي قد يفضي إلى مفهوم واحد ومحدد يمكن التعبير به عن مفهوم المفارقة، وهذا ما أشار إليه بروكس حين عرف المفارقة بأنها "اصطلاح واسع الدلالة يعني عنده إدراك التنافر والغموض والتوفيق بين المتناقضات، تلك الخصائص التي تكون في الشعر الجيد. فعلى الشعر أن يتصف بالمفارق من أجل أن يصمد أمام النظرة المفارقة"[34]، وعلى ذلك نلحظ أنه يحصر الشعرية في المفارقة، أو يجعل المفارقة إحدى الركائز التي لا يستقيم الشعر بدونها، وفي هذا القول نظر؛ إذ يمكن أن نعلي من قيمة المفارقة باعتبارها إحدى ضروب البلاغة، أو إحدى الأشكال الموصلة إليها، ووفقًا لذلك قد يصلح الشعر بدونها، ويحسن بها، ومن جهة أخرى قد يمكن ن ينطبق قوله على الشعر في بعض اللغات العالمية، ولكنه قد لا يصلح للشعر العربي، حيث إن كل لغة لها محدداتها وسماتها التي تحتكم إليها في نتاجها الأدبي والإبداعي.

لقد أشرت سابقًا إلى ذلك الفصيل من الباحثين والنقاد العرب المعاصرين الذين استلهموا المصطلحات النقدية وفقًا للرؤية الغربية، دون الوقوف على واقعها وإرهاصاتها في المنجز النقدي والبلاغي العربي، وقد تواءمت تعريفات هؤلاء مع تعريفات النقاد الغربيين إلى حد كبير، إذ جاءت مبنية على غرار كلامهم، ومن ذلك تعريف الباحثة سيزا قاسم للمفارقة بأنها "استرتيجية قول نقدي ساخر، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني؛ ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية. والمفارقة طريقة لخداع الرقابة، حيث إنها شكل من الأشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة، فالمفارقة في كثير من الأحيان تراوغ الرقابة بأنها تستخدم على السطح قول النظام السائد نفسه، بيد أنها تحمل في طياتها قولًا مغايرًا"[35]، هذا التعريف فلسفي إلى حد كبير، ولعله من الصعوبة أن نفصل بين الرؤية الفلسفية أو المنطقية والرؤية النقدية لمصطلح

([33]) السابق، ص66.

([34]) ويلك رينيه، مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة– الكويت، د.ط، 1978م، ص397.

([35]) سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، المجلد2، العدد2، ص143.

المفارقة، فالأمر في تداخل كبير، غير أني أرى الناقدة وُفقت إلى حد كبير في تشبيه المفارقة بالاستعارة في اشتمالها على دلالتين، إحداهما ظاهرة والأخرى باطنة، أو من جهة أخرى يمكن أن نقول بتعبير النقاد العرب القدامي أن التعبير متضمن للمعنى وهو القريب، ومعنى المعنى وهو الموغل في الدلالة، والذي يحتاج إلى جهد للكشف عنه وإدراك كنهه.

كذلك نجد الباحثة نبيلة إبراهيم تعرف المفارقة تعريفًا عامًا، معتمدة على الاسترسال وزيادة التوضيح، ولعلها استوعبت التعريفات الغربية فخلصت منها إلى هذا التعريف الذي يقول بأن: "المفارقة في أخص خصائصها صيغة لغوية، فهي عندما تتعمد أن تقول شيئًا وتعني شيئًا آخر كلية، وعندما تثبت حقيقة ثم لا تلبث أن تلغيها، وعندما تحدث الانفصال بين العالم التجريبي والترنسندنتالي- الباطن أو الكامن، إنما يتم ذلك من خلال المهارة الفائقة في تحريك اللغة"[36]، وفي ذلك التعريف نظر، إذ لا نختلف على كون المفارقة ناتجة عن اللغة، إذ الأساس في إظهار الدلة هو اللفظ في المقام الأول، ولكن الأمر أبعد من ذلك، خاصة وأن المفارقة قد تخرج عن إطار التعبير اللغوي إلى ما هو مشاهد أو مدرك بالعقل من الموجودات، إذ المفارقة فلسفة حياة بأكملها، وليست قاصرة على اللغة، ولكن عنايتنا بها على المستوى اللغوي لأننا لا نتعرض لها من الجهة الفلسفية أو العقلية، ولكنا نتعرض لها باعتبارها قضية بلاغية ونقدية، تنهض على الإبداع الأدبي وتقوم عليه، ولو أن أحدًا أراد النظر إلى المفارقة برؤية عامة لما وسعه الوقت لإدراك كل ما يمكن أن يقال في هذا المصطلح، وقد كان ميويك دقيقًا حين رصد المفارقة في صفات الله سبحانه التي وصف بها نفسه، وقال أنه "من وجهة النظر هذه يكون المثل الأعلى لصاحب المفارقة هو الله، فإنَّه صاحب مفارقة دون منازع لأنه عليم، قدير، متعال، مطلق، لا يحدّه حدّ، طليق"[37]، وبهذا ننتهي إلى أن المفارقة مصطلح راسخ في حضارة الإنسان، موغل في البعد أشد الإيغال.

([36]) نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، المجلد السابع، العدد3، ص139.

([37]) ميويك دي سي، المفارقة وصفاتها، ص59.

الخاتمة:

حضر مصطلح المفارقة في التراث العربي اللغوي والنقدي والبلاغي، وذلك الحضور مثل إرهاصات فعلية لاستقامة مفهوم المفارقة في أذهان الباحثين، وأفسح المجال أمام المشتغلين بالدرس الأدبي والنقدي لتوظيفه في الإبداع العربي قديمًا وحديثًا. وعليه فقد توصلت لمجموعة من النتائج المهمة التي يمكن أن يفيد منها الباحثون، وتفصيلها في النقاط الآتية:

حضر مضمون المفارقة في التراث اليوناني بصورة واضحة، ولكن ذلك الحضور لم يجلي المصطلح كما هو عليه الآن، إذ يمكن أن نعبر عنه بالإرهاصات اللسانية الحتمية، التي تقترن باللسان وتنتج عنه بصورة توالدية، وعليه حضر مصطلح المفارقة في التراث اليوناني.

تأثر النقاد العرب القدامى بالتراث اليوناني تأثرًا واضحًا، وقد ألمح العديد من النقاد إلى ذلك وعلى رأسهم إحسان عباس في كتابه "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، ولا يمكننا الجزم بأن حضور بعض المصطلحات في التراثين اليوناني والعربي يعني اقتباس اللاحق من السابق، ولكن اللسان يفرض مباحثه العامة التي تمتاز بها أي لغة على العموم، ويفرض كذلك مباحثه الخاصة التي تختص بها لغة دون غيرها، والمفارقة من المصطلحات القابلة للحضور في مختلف اللغات والألسنة، وغاية الأمر أن نقرر بأن مصطلح المفارقة كان حاضرًا في المنجز النقدي العربي قديمًا.

تداخل مصطلح المفارقة في التراث النقدي العربي مع العديد من المصطلحات البلاغية، كالتضاد والسخرية والتهكم والتعريض وغيرها، وذلك التداخل يؤول بصورة واضحة لكنه المفارقة ومقصدها الذي يشمل في آن واحد طرفًا من العديد من المصطلحات والمفاهيم، وهذا يحيلنا إلى غياب مصطلح المفارقة عن النقد العربي القديم، ولكن الغياب كان على مستوى المصطلح فحسب، ولكن مضمون المفارقة كان حاضرًا بصور أخرى متعددة ومتداخلة مع بعض الأنماط البلاغية والأسلوبية كما أشرنا.

انقسم النقاد العرب في العصر الحديث إلى فريقين؛ توقف أحدهما عند محددات المفارقة كما جاءت في التراث النقدي والبلاغي العربي، وتطرقوا إليه بنزع عربية خالصة، دون إظهار إسهامات النقاد الغربيين في ذلك، والفريق الثاني وقف أمام مصطلح المفارقة وقفة القابلة التي تتلقف مولودًا جديدًا لم يكن له وجود من قبل، وهؤلاء اكتفوا باستلهام محددات المصطلح من النقاد الغربيين.

اتسعت دلالة المفارقة لتجمع العديد من الأنماط البلاغية والأسلوبية في طياتها، فالتضاد والسخرية والتهكم والتعريض كل منها يتعالق مع المفارقة من قبيل علاقة الخاص بالعام، فالتضاد مثلًا يمثل أحد أوجه المفارقة السياقية التي تظهر بلاغة الخطاب أو النص.

إن المفارقة تمثل مغايرة لفظية يترتب عليها مباينة معنوية أو خيالية أو تصويرية، وهذه المباينات أو الاختلافات تنتج عن طبيعة عقلية ذهنية تؤمن بأهمية إحداث المقابلة باختلاف أنواعها في بنية الخطاب لإظهار جمالياته التعبيرية.

ثبت المصادر والمراجع:

- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة- بيروت، الطبعة الخامسة، 1978م.
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة- بيروت، الطبعة الرابعة، 1983م.
- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال- بيروت، د.ط، 1423ه.
- الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، 1424ه.
- أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، 1408ه= 1988م.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل- بيروت، الطبعة الخامسة، 1401ه= 1981م.
- سيزا قاسم، المفارقة في القص العربي المعاصر، مجلة فصول، المجلد2، العدد2.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف- مصر، الطبعة الثانية عشرة، د.ت.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف- مصر، الطبعة الثالثة عشرة، د.ت.
- عبد العظيم بن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- الجمهورية العربية المتحدة.
- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الرابعة، 1418ه= 1997م.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، علق عليه محمد رشيد رضا.
- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الأثار الإسلامية- الكويت، الطبعة الثانية، 1409ه= 1989م.
- عبد الله بن المعتز، البديع في البديع، دار الجيل- بيروت، الطبعة الأولى، 1410ه= 1990م.
- عفيف عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، دار الفكر للنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
- عيد بلبع، أكذوبة لتناص، دار النابغة للنشر والتوزيع- طنطا، الطبعة الأولى، 2019م.

- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي- بيروت، د.ط.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، الطبعة الثالثة، 1414ه.
- ميوك. دي سي، المفارقة وصفاتها: موسوعة المصطلح النقدي4، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
- نبيلة إبراهيم، المفارقة، مجلة فصول، المجلد السابع، العدد3.
- ويلك رينيه، مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة- الكويت، د.ط، 1978م.
- يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية، 1407ه= 1987م.
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف- مصر، الطبعة الرابعة، د.ت.